﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن حكى الله تعالى عن نوحٍ ﷺ ردَّه على قومه بنفي الضَّلالةِ وإثباتِ الهداية بكونه رسولًا من ربِّ العالمين، استأنفَ بالإخبارِ عن وظيفتهِ بيانًا لرسالته[1]، فلمّا "نفى عن نفسه العيبَ الَّذي وصفوه به، ووصف نفسَه بأشرفِ الصِّفات، وأجلِّها، وهو كونُه رسولًا إلى الخلقِ من ربِّ العالمين؛ ذكر ما هو المقصودُ من الرِّسالة، وهو أمران: الأوَّل: تبليغُ الرِّسالة. والثّاني: تقريرُ النَّصيحةِ، فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾"[2].

بـعـدَ دفـعِ المعوِّقاتِ يَحسُنُ بيانُ المقصودِ، بِدَوْرِ الرّسولِ في النُّصحِ وإبْلاغِ الرّسالاتِ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: (بلغ) أصلٌ يدلُّ على الوصولِ إلى الشَّيء، تقول: بلغتُ المكانَ؛ إذا وصلت إليه، والإبْلاغُ والتَّبليغُ: الإيصالُ، والاسْمُ منْهُ البَلاغُ، وأبْلغْتُه، وبَلَّغْتُه بمَعْنًى واحدٍ، يقال: بَلَّغْتُهُ الخبر، وأبْلَغْتُهُ، وبلَّغته أكثر[3]، قال ﷺ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أي: أوصلُ إليكم[4].

2) ﴿أَنصَحُ﴾: (نصح) أصلٌ يدلُّ على مُلاءَمَةٍ بين شَيْئَيْنِ وإصْلاحٍ لَهُما، أصْلُ ذلك ناصِحُ العَسَلِ: خالِصُهُ، ونَصَحْتُ الجِلْدَ: خِطْتُه، والنّاصِحُ: الخَيّاطُ، وكُلُّ شيءٍ خَلَصَ، فقَدْ نَصَحَ، النُّصْحُ والنَّصيحَةُ: خلاف الغشِّ، وهو تَحَرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/429.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/296.
(3) الجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (بلغ).
(4) العليمي، فتح الرحمن: 2/537.

صاحبِهِ، وهو من قولهم: نَصَحْتُ له الوُدَّ، أي: أخْلَصْتُهُ[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ "أي: أتحرَّى ما فيه صلاحُكم"[2].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

رسالةُ اللهِ مُناطةٌ بالحقِّ والحكمةِ الأثيرةِ، والرّسولُ مُبلّغٌ بالعلْمِ والبَصيرةِ

يخبر اللّهُ تعالى عن نوحٍ ﷺ أنَّه قال لقومه مبيِّنًا رسالته وغايته: "أبلِّغكم ما أرسلني به ربّي من الدَّعوة إلى التَّوحيد الخالص، والإيمانِ باللّه وملائكته وكتبِهِ ورسله واليوم الآخرِ، وما اشتمل عليه من جنَّةٍ ونارٍ، وثواب وعقابٍ، وأبيِّن لكم أصولَ العباداتِ والمعاملات وأحكامها العامَّة وفضائل الأخلاق والآداب، وفي الجملة: كلُّ الأوامر والنَّواهي والمواعظ والزَّواجر والبشائر والنَّذائر، وأنصحُ لكم نصحًا خالصًا من شوائب المصلحةِ والمكر، بتحذيركم من عقاب اللّه على كفرِكم وتكذيبكم لي، وأنا في هذا التَّبليغِ والنُّصح أعلمُ من اللّه وشؤونِهِ ما لا تعلمون من مصيرِ هذا العالم، وإنَّ إنذاري عاقبة الشِّرك بعذاب الدُّنيا، ونصحي لكم ناشئٌ عن علمٍ يقينيٍّ لا تعلمونه"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فصْلِ جُملةِ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ عمَّا قبْلَها:

تَبليغُ الرِّسالةِ ونُصحُ النّاسِ وإرشادُهم، هو مَقصدُ الرِّسالةِ

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ استئنافيَّةٌ، سيقت لبيانِ صفاتِ رسالته من ربِّ العالمين[4]، وفي هذا الاستئنافِ تعليلٌ للرِّسالة، فكأنَّ سؤالًا نشأ عن قوله: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقيل: ولماذا أرسلكَ ربُّ العالمين؟ فقال: أرسلني إليكم لأبلِّغَكم وأنصحَكم.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعْلِ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾:

اسْتِعارةُ التَّبليغِ للإيصالِ، بقصْدِ تَصويرِ أمانةِ المبَلِّغِ

يدلّ فعلُ التَّبليغِ في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (نصح).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/391.
(3) الزّحيلّي، المنير: 8/254.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/114، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/266 - 367.

جعلِ الشَّيء بالغًا واصلًا إلى المكان المقصود، فاستعار تبليغَ الشَّيء إلى المكانِ المقصود للإعلام بالأمر المقصودِ، فكأنَّه ينقل الخبر من مكانٍ إلى مكان[1].

دَلالةُ التَّعْبِيرِ بالمُضارِعِ، في قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾:

تَبليغُ نُوحٍ لقومِه مُستمرٌّ لقرونٍ، إضْـرارًا منه على دَعْوتِهم

عبَّر عن التَّبليغِ في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ بالفعلِ المضارعِ للدَّلالة على التَّجدُّد، وهذا يدلُّ على أنَّه "غيرُ تاركٍ التَّبليغَ من أجل تكذيبهم تأييسًا لهم من متابعتِهِ إيّاهم"[2]، وفيه دليلٌ على حرصِهِ وإصرارِهِ على دعوتِهِ وثباته على ذلك.

دَلالةُ تضْعيفِ الفعْلِ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ وجمْعِ ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾:

امْـتِـدادُ دَعْـوةِ نُـوحٍ لـقـومِـه، اسـتـغـرقَ ما يُـوازِي عِـدّةَ رِسالاتٍ

في قولِهِ تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ جاء الفعلُ (أبلِّغ) مضعَّفًا لمناسبة الجمعِ في الرِّسالات؛ فلمّا عبَّر بالرِّسالات في صيغة الجمع الدّالَّة على الكثرةِ؛ ناسبه أن يعبِّرَ بالفعل المضعَّف الدّالِّ على التَّكثيرِ؛ ليقعَ التَّناسب بين اللَّفظين.

تَوجِيهُ القِراءاتِ القُرآنيَّةِ، في قولِه تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾:

إشـارةُ قـراءةِ التَّـخـفـيـفِ إلى بـدايةِ الـدَّعـوةِ، والـتَّـشْـديـدِ إلى اسْتِمرارِها

في قولِهِ تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ قرأ الجمهورُ بتشديد اللّام من التَّبليغ، وقرأ أبو عمرو بتخفيف اللّام من الإبلاغ[3]، وكلُّ قراءةٍ مثَّلت حقبةً من الزَّمن، فمعلومٌ أنَّ نوحًا عليه السلام قد طال أمدُ دعوتِهِ لقومه، فناسبَ التَّخفيفُ بدءَ الدَّعوة، ولمّا تكرَّر تبليغُه لهم ودوامه عليه؛ ناسب أن يعبِّر عن ذلك بالتَّثقيل الدّالِّ على التَّكثير، فأشارتْ كلُّ قراءةٍ إلى معنًى وزمانٍ مرادٍ.

فائِدةُ تعْدِيَةِ الفعْلِ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ إلى الضَّميرِ المتَّصلِ:

جاء الفعلُ في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ متعدّيًا إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/193.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/193.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/270.

الضَّمير المتّصل، ولم يقل: (أبلِّغ رسالات ربّي)؛ لأنَّه أوقعَ فعلَ التَّبليغ عليهم ليصرِّح بأنَّ المقصودَ من التَّبليغ إنَّما هو أنتم لا أحدَ غيركم، وأنَّ قصدَ الرِّسالة أن تبلغَ لكم، وهذا يشعرُ بالاهتمام بهم وتكريمهم بالخطاب، وإبرازُ المقصودِ له وقعٌ في إقناعِ المخاطَب، وإشباعِ عاطفتِه.

إبـرازُ المقـصُودِ لـه وَقْـعٌ في إقْناعِ المخاطَبِ، وإشْباعِ عاطِفتِه

نُكتةُ الجمْعِ في قولِه: ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾:

عبَّر النَّظمُ عن الرِّسالات بالجمعِ في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ ولم يعبِّر بالمفردِ، فلم يقل: (رسالة ربّي)؛ لأنَّه لمّا أخبر بالفعلِ المضارع ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ الدّالِّ على التَّجدُّد المشعرِ بطول الزَّمان؛ ناسبَ التَّعبيرُ بالجمعِ، فالرِّسالات تعبيرٌ عن الوحي في الأوقاتِ المتطاولة، كما أنَّها تدلُّ على المعاني الكثيرةِ المختلفة من الأوامرِ والنَّواهي والمواعظِ والبشائر والأحكام والقصص[1].

طُـولُ الـزَّمـانِ وتجدُّدُ الدَّعوةِ، يُناسبُه الجمْعُ لا الإفرادُ

سِرُّ إضافةِ ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾ إلى الرّبِّ:

في قولِه تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أضافَ الرِّسالات إلى صفةِ الرُّبوبيَّة، ولم يضفها إلى لفظ الجلالة؛ إشارةً إلى أنَّ من أرسلني هو المحسنُ إليَّ، وأنَّها تتضمَّن الخيرَ للنّاس ومصالح العباد، وأنَّ هذه الرِّسالة من مقتضى رحمته بخلقه ورعايتِه لهم، فهي رسائلُ من النّاظر بمصالح الخلقِ.

الـرِّسـالـةُ الـتي تَـرِدُ مـنَ الـرَّبِّ المُحْسنِ لِعبادِهِ، تَـكـونُ خـيرًا مخضًا

فائِدةُ إضافةِ لفْظِ (الرَّبِّ) إلى ضَميرِ المتكلِّم ﴿رَبِّي﴾، والعُدولِ عن (ربّكم):

أُضيفَ لفظُ الرَّبِّ إلى ضميرِ المتكلِّم في قولِه تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ بعد أن قالَ: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إيذانًا بأنَّ عليه لزومَ طاعته، وأنَّه لا يسعه إلّا تبليغُ ما أمره بتبليغِه، وإن كرهَ قومه[2]، قال أبو السُّعود: "وتخصيصُ ربوبيَّتِه تعالى به - ﷺ - بعد بيانِ عمومِها

واجـبُ التَّبليغِ تَكليفٌ، وبَيانُ المقصودِ تلْطيفٌ

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 1/576، والزمخشري، الكشّاف: 2/115.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/194.

للعالمين؛ للإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ الَّذي هو تبليغُ رسالتِه تعالى إليهم؛ فإنَّ ربوبيَّتَه تعالى له - ﷺ - من موجباتِ امتثالِه بأمرِه تعالى بتبليغ رسالتِه تعالى إليهم"[1]، فواجبُ تكليفِه ﷺ، يختلف عن التَّلطُّفِ بقومه.

سِرُّ العُدولِ عنِ الإضمارِ إلى الإظهارِ، في قولِه: ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾:

بيانُ الْتِزامِ المبلِّغِ برسالةِ الله، دونَ أدْنَى تَصرُّفٍ فيها

في قوله جلَّ شأنه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ عدلَ عن إضافةِ ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾ إلى الضَّمير الذي يعودُ على ﴿رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المذكورِ في قولِه: ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلم يقل: (رسالاته) فوضعَ ﴿رَبِّي﴾ موضعَ الضَّمير، ووجه هذا العدولِ "هو ما تؤذنُ به إضافةُ الرَّبِّ إلى ضمير المتكلِّم من لزوم طاعتِه، وأنَّه لا يسعه إلّا تبليغُ ما أمرهُ بتبليغِه، وإن كره قومُه"[2]، فإنَّ ربوبيَّته للنَّبيِّ ﷺ تؤذنُ بوجوبِ امتثاله للأمر بالتَّبليغ.

دَلالةُ الواوِ في قولِه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾:

النُّصحُ دَعامةُ التَّبليغِ وزِينتُه، وعليه مُعتمَدُ البلاغِ وحِكْمتُه

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ لبيانِ كيفيَّةِ أداء الرِّسالة[3]، فعطف النُّصحَ على التَّبليغِ إعلامًا بشدَّة حرصِه عليهم وابتغائِه نفعَهم وإرشادَهم.

نُكتةُ إيثارِ التَّعْبير، بفعْلِ ﴿وَأَنصَحُ﴾:

النُّصحُ قائمٌ على إرادةِ النَّفْعِ للآخِرِ، وخُلُوِّه مِنِ انتفاعِ النَّفْسِ

آثر النَّظمُ التَّعبيرَ بالنُّصح في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ دون غيرِه من الألفاظِ، كأن يقول: (أرشدكم)، أو (أهديكم)؛ لأنَّ مقصد النّاصح "إرادةُ الخيرِ لغيرِه كما يريدهُ لنفسِه"[4]، فهو يقصدُ مصلحتَهم مع خلوص نيَّته، وتحرّيه لما فيه خيرُهم وصلاحُهم[5]، وهذا المعنى لا يدلُّ عليه غيرهُ من مرادفاتِه.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/194، والآلوسي، روح المعاني: 4/390 - 391.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.
(4) العليمي، فتح الرحمن: 2/537.
(5) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/297، والآلوسي، روح المعاني: 4/391.

دَلالةُ صِيغةِ المضارعِ في: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾:

الإعـلامُ بِتَجدُّدِ النُّصْحِ، دليلُ الثَّباتِ والإصْرارِ

في قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ عبَّر عن نصحِه لهم بالفعل المضارعِ؛ للدَّلالةِ على تجدُّد نصحِه ﷺ لهم[1]، كما دلَّ ذلك على إصرارِه وثباتِه في دعوتِه، ويعربُ عن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝﴾ [نوح: 5].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بقوله: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ دونَ (وأنصحكم):

تَـمـحِـيـضُ الـنَّـصـيـحـةِ لـلـمُـخـاطَـبـين، أبـيـنُ في إقـامـةِ الحُجَّةِ

في قولِه تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ جيءَ باللّام مع أنَّ الفعل (نصح) يتعدَّى إلى المفعولِ بنفسِه، "للدَّلالة على إمحاضِ النَّصيحةِ لهم وأنَّها لمنفعتِهم ومصلحتِهم خاصَّة"[2]، فالغرضُ من النُّصح إنَّما هو أنتم وليس وراءه منفعةٌ تعودُ عليه ﷺ، وفي ذلك مبالغةٌ في إخلاص النَّصيحةِ لهم، فهي وقعت خالصةً للمنصوح، وقصدَ بها جانبُهُ لا غير[3].

دَلالةُ العطْفِ بالواوِ في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾:

الإخْـبـارُ بعلْمِهِ ما لا يعلمونَ، وعـيـدٌ أُردِفَ بالوعْدِ بالإبلاغِ والنُّصْحِ

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ معطوفٌ على قوله جلَّ شأنه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ تقريرًا لرسالته ﷺ، وما أوعدهم به، والمعنى: أعلمُ من قِبَلِهِ تعالى بالوحي أشياءَ لا علمَ لكم بها كقدرته وشدَّة بطشه[4]، وقد عقَّب بالعلمِ بعد ذكرِ النُّصح والرِّسالات "جمعًا لمعانٍ كثيرةٍ ممّا تتضمَّنه الرِّسالة، وتأييدًا لثباته على دوامِ التَّبليغ والنُّصح لهم، والاستخفافِ بكراهيَّتهم وأذاهم؛ لأنَّه يعلم ما لا يعلمونه ممّا يحمله على الاسترسالِ في عملِه ذلك، فجاء بهذا الكلامِ الجامع، ويتضمَّن هذا الإجمالُ البديعُ تهديدًا لهم بحلول عذابٍ بهم في العاجل والآجلِ، وتنبيهًا للتَّأمُّل فيما أتاهم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/391.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/194.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/18.

به، وفتحًا لبصائرهم أن تتطلَّبَ العلم بما لم يكونوا يعلمونه، وكلُّ ذلك شأنُه أن يبعثَهم على تصديقه وقبولِ ما جاءهم به"[1].

فائدةُ التَّعْبيرِ بالعلْمِ، في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾:

التَّزكيةُ بالعِلْمِ بعْدَ النِّسبةِ إلى الجهْلِ والضَّلالِ، مَسْلكٌ للانْتِصارِ للحَقِّ

آثر أن يعبِّرَ بالعلمِ في قولهِ تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ دون مرادفاتِه؛ لأنَّه أجابهم على شبهتِهم، وردَّ نسبتهم إيّاه إلى الضَّلال، فلمّا "كان الضَّلال من الجهل؛ قالَ: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من صفاتِ الَّذي له صفاتُ الكمالِ وسائر شؤونه"[2]، فجاء التَّعبيرُ بالعلم ردًّا على ما نسبوه إليهِ من الضَّلال الذي يقتضي الجهلَ، فإنَّ الضّالَّ قد ضاعَ، وفَقَدَ معرفةَ الطَّريق، أمّا أنا؛ فعلى علمٍ ودرايةٍ، والمعنى: "أنا في هذا التَّبليغ وذلك النُّصح على علمٍ من اللّه أوحاهُ إليَّ لا تعلمون منه شيئًا، كما أنّي أعلم من اللّه وشؤونهِ ما لا تعلمونَ في نظامِ هذا العالمِ، وما ينتهي إليهِ، كما أعلم ما بعده من أمرِ الآخرةِ والحساب والجزاء، فإذا نصحتُ لكم، وأنذرتُكم عاقبةَ شِرككم من إنزالِ العذابِ بكم في الدُّنيا؛ إذا جحدتُم وعاندتُم، فإنَّما أنصحُ لكم عن علم يقينيٍّ لا تعلمونه"[3].

دَلالةُ صِيغةِ المضارعِ في ﴿وَأَعْلَمُ﴾:

الإشارةُ إلى أنَّ الوَحْيَ مُتجدِّدٌ لا يَنقطِعُ

قولهُ تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبَّر عن علمهِ ﷻ بالفعلِ المضارعِ الدّالِّ على التَّجدُّد؛ للدَّلالة على ثباتهِ في الدَّوام على دعوتهِ، وأنَّ علمهُ عن اللّه تعالى متجدِّدٌ مستمرٌّ لا ينقطع، إشعارًا بأنَّ الوحيَ الَّذي يأتيه دائمٌ متجدِّدٌ.

نُكتةُ إسْنادِ العِلْمِ إلى نُوحٍ، ثمَّ بيانِ أنَّه ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾:

بيانُ قُوَّةِ العِلْمِ، دَليلُ العِزَّةِ والرِّفعةِ، والمددِ الإلهيِّ

أسندَ نوحٌ ﷺ العلمَ إلى نفسِه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ للدَّلالةِ على قوَّة علمهِ في هذا الشَّأنِ؛ لأنَّه في سياقِ وعيدٍ، والوعيدُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/194 - 195.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/430.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 8/190.

يقتضي القوَّة في التَّعبيرِ، ومعلومٌ أنَّه قد علم ذلك من الله تعالى، أي: إنَّ مصدرَ ما له من علمٍ إنَّما هو من جهتهِ تعالى، فالإخبارُ بأنَّه يعلم يُشعر بمكانةِ علمهِ، والإخبارِ عن جهة علمه وكونهِ من الله تعالى يغني عن إسنادِ العلمِ إليه ﷻ.

دَلالةُ حرفِ الابتداءِ (من)، في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾:

بيانُ نَوْعِ العِلْمِ وأنَّــه وَحْــيٌ لا اكتِسَابٌ

جاءتْ ﴿مِنَ﴾ في قولهِ تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ للدَّلالةِ على الابتداءِ، أي: "صار لي علمٌ واردٌ منَ الله تعالى"[1]، وذلك للدَّلالةِ على أنَّ علمَهُ جاء عن طريقِ الوحي، فهو تأكيدٌ وتقريرٌ لعلمه، ولما أوعدهم به، والمعنى: "أعلمُ من قدرتهِ وشدَّة بطشه، أو من جهتهِ بالوحي أشياءَ لا علم لكم بها"[2]، ففي حرفِ (من) دلالةٌ على تزكية علمه، وأنَّه علمٌ فريد؛ لذلك عقَّب عليه بقوله: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وفائدةُ ذلك تنبيهُهم على الاهتمام بما بلَّغهم به من الرِّسالاتِ وبما ينصحهُم به.

دَلالةُ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

عِـلْـمُ نُـوحٍ عليه السلام عامٌّ، يَشمَلُ كلَّ ما جَهِلَهُ قومُهُ عنِ الله تعالى

قوله تعالى: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبَّر بـ (ما) الموصوليَّة الدّالَّة على الإبهام والتَّعميم، ففي التَّعبير بها "إبهامٌ عليهم، وهو عامٌّ، ولكن ساقَ ذلك مساقَ المعلوماتِ الَّتي يخاف عليهم، ولم يسمعوا قطُّ بأمَّة عذِّبت، فتضمَّن التَّهديد والوعيد، فيحتمل أن يريدَ ما لا تعلمون من صفاتِ اللهِ وقدرته وشدَّةِ بطشهِ على من اتَّخذ إلهًا معهُ، أو يريد ما لا تعلمون ممّا أوحي إليَّ"[3]، فدلالةُ (ما) على التَّعميم لا تصرِّح بما علِم، فيشملُ كلَّ ما يحتملُ أن يعلمه ممّا جهلوهُ عن ربِّه جلَّ ذِكرهُ، وفي ذلك تفخيمٌ لشأنِ المعلوم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/195.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/18.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 5/83.

نُكتةُ النَّفْيِ بحرفِ ﴿مَا﴾، في قولِه: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

نَفْيُ المضارعِ بـ (لا)، يدلُّ على اسْتِمرارِ النَّفْيِ، ونَفْيُهُ بـ (لم) يدلُّ على نَفْيِ الماضِي

آثر في قولِه جلَّ شأنه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن يعبِّرَ عن نفي العلمِ عن قومٍ نوحٍ بـ (لا) دون (لم) فلم يقل: (ما لم تعلموا)؛ لأنَّ النَّفي بـ (لم) يدلُّ على نفي العلم في الزَّمن الماضي، فكان إيثار النَّفي بـ (لا) لِما تدلُّ على النَّفي المستمرِّ لاقترانها بالفعل المضارع، فالنَّفي بـ (لم أفعل) يدلُّ على القطع، والنَّفي بـ (لا أفعل) يدلُّ على الاستمرار.

إيثارُ التَّعْبيرِ بلفْظِ العِلْمِ، وصِيغةِ المضارعِ:

مُقتضَى الاستِعمالةِ والتَّلطُّفِ، استِعمالُ نَفْيِ العِلْمِ لا إثباتِ الجَهْلِ

آثر النَّظمُ استعمالَ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ دون أن يقولَ: (ما تجهلون)، وهي أوجزُ لفظًا؛ لسببين اثنين: الأوَّل: لأنَّه لمّا عبَّرَ في صدرِ الجملةِ بالعلم بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ بنى العبارةَ على التَّناسب، فختمها بنفي العلمِ عنهم دون إثبات الجهلِ، فقال: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ولم يقل: (ما تجهلون)، والآخر: دلاليٌّ، وهو ما يتوافقُ مع استمالةِ القومِ للإيمانِ، فإنَّ إثبات الجهلِ فيه لدغةٌ لا تتناسبُ مع ما وردَ في هذا السّياقِ من الاستمالةِ والتَّلطُّفِ بالقومِ.

وآثرَ في نفي العلم عنهم أن يكونَ بالفعل المضارعِ للدَّلالةِ على استمرار النَّفي، فكما أثبتَ العلم له على وجه التَّجدُّد والاستمرار؛ نفاهُ عنهم على التَّجدُّد والدَّوام، وفي ذلك حثٌّ لهم على الاهتمام بما دعاهم له، وتنبيهٌ لهم على الإقبالِ على التَّعلُّم منه.

بَلاغةُ الجِناسِ، في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ﴾، و﴿تَعْلَمُونَ﴾:

تَكرارُ العِلْمِ بصِيغتَيْنِ مختلفتَيْنِ، يَدلُّ على مكانتِه

في قولِه تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ جناسٌ اشتقاقيٌّ، حيث ورد لفظانِ من جذرٍ واحدٍ، فكرَّر لفظَ العلم اهتمامًا به وتأكيدًا على قيمته، مع ما في ذلك من جمالٍ لفظيٍّ بتكرار اللَّفظ المتشابهِ، المفضي إلى الانتباهِ إلى أهمّيَّة المكرَّر.

بَلاغةُ طِباقِ السَّلْبِ في قولِه: ﴿وَأَعْلَمُ﴾، وقولِه: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ طباقُ سلبٍ حيثُ جمعَ في عبارةٍ واحدةٍ بين فعلين من مصدر واحد، وهو (العلم): أحدُهما مثبتٌ ﴿وَأَعْلَمُ﴾، والآخرُ منفيٌّ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك إثارةٌ لانتباهِ المخاطبِ بأن يسمعَ المعنى نفسه لكن مرَّة مثبتًا وأخرى منفيًّا، وفي ذلك تنبيهٌ وحثٌّ لقومِه على مراجعةِ معتقدهم؛ إذ أخبرهم بأنَّه يعلمُ، وهم لا يعلمون.

إثباتُ العِلْم ونفيُهُ، يُثيرُ الانتباهَ، ويَحثُّ على الاهتمامِ بفَحْواه

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(التّبليغُ) و(الإنْبَاء):

الإبلاغ: إيصالُ ما فيه بيانٌ للأفهام، وهو أشدُّ اقتضاء للمنتهي إليه؛ لأنَّه يقتضي بلوغَ فهمه وعقله، كالبلاغة، وهي: إيصالُ المعنى إلى النَّفسِ في أحسنِ صورةٍ من اللَّفظ[1]، أمّا الإنباءُ؛ فهو الإخبار بما لا يعلمه المخبَرُ[2].

التَّبليغُ: إيصالٌ مع إفْهَامٍ، والإنْباءُ: هو إخْبارٌ بالمجْهولِ

فالتَّبليغُ أبلغُ في الدَّلالة على حرص الأنبياءِ على دعوة الخلقِ، فقوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ لم يرد أنَّه يخبرُهم بما لا يعلمون إخبارًا مطلقًا، بل أراد أنَّه يبلِّغُهم ذلك مع التَّفهيم والبيان حتَّى يبلغ عقولَهُم وأفهامَهم.

(النُّصْحُ) و(الإرشَادُ):

"الإرشادُ إلى الشَّيء هو التَّطريق إليه والتَّبيُّن له"[3]، فهو نوعٌ منَ الهدايةِ يتعلَّق بالدَّلالة على الطَّريق، أمّا النُّصح؛ فهو إخلاصُ الإصلاحِ، فالنُّصْحُ: خلاف الغشِّ، وهو تَحَرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ

الإرشادُ هو بيانُ الطَّريقِ، بَينَما النُّصحُ؛ فيه تَحرّي النَّصيحةِ بقصْدِ الإصلاحِ عن عِلْمٍ

(1) الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن، ص: 75.
(2) العسكري، الفروق، ص: 41.
(3) العسكري، الفروق، ص: 209.

صاحبِهِ، وهو من قولهم: نَصَحْتُ له الوُدَّ، أي: أَخْلَصْتُهُ[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ "أي: أتحرَّى ما فيه صلاحكم"[2]، فالتَّعبير بالنُّصحِ أبلغُ في بيان كونهِ حريصًا على هدايةِ قومهِ من مجَرَّد الإرشادِ؛ لما فيه من دلالةٍ على نفي الغشِّ وإخلاصِ الإصلاحِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (نصح).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/391.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»